الأمن الفكري في الدولة العباسية التحدي والمواجهة
(590-132هـ/ 750- 1194م)

الدكتور: نجيب بن خيرة
جامعة الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

1- توطئة: الأمن الفكري: المصطلح والدلالة

لما كان مصطلح (الأمن الفكري) مصطلحا معاصرا ومستحدثا، فقد اختلفت أنظار المفكرين إلى تعريفه ودلالته، فعرفه بعضهم بقوله: "بأنه النشاط والتدابير المشتركة بين الدولة والمجتمع لتجنيب الأفراد والجماعات شوائب عقدية أو فكرية أو نفسية، تكون سببا في انحراف السلوك والأفكار والأخلاق عن جادة الصواب، أو سببا للإيقاع في المهالك"[1].
وعرفه آخرون فقالوا: "الأمن الفكري هو تأمين خلو أفكار وعقول أفراد المجتمع من كل فكر شائب ومعتقد خاطئ، مما قد يشكل خطرا على نظام الدولة وأمنها، وبما يهدف إلى تحقيق الأمن والاستقرار في الحياة الاجتماعية، وذلك من خلال برامج وخطط الدولة، التي تقوم على الارتقاء العام بأبناء المجتمع "[2].

وقيل أنه: "الحفاظ على الهوية الثقافية في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة أو الأجنبية المشبوهة، وهو بهذا يعني حماية وتحصين الهوية الثقافية من الاختراق أو الاحتواء من الخارج، جنبا إلى جنب، مع الحفاظ على العقل وصيانة المؤسسات الثقافية في الداخل من الانحراف "[3].

والأمن الفكري لا يعني الانغلاق على الذات، وعدم التفاعل مع ثقافة الآخر وفكره، بل إنه يعني المشاركة والحوار، والانفتاح على ما لدى الآخر من أفكار ومفاهيم وتصورات... مع ضبط البوصلة وفق ما لدينا من نوازل الوحي، ومعالم الرشاد. ومن ثم نقيس صحة الفكر من سقمه، وهُداه من انحرافه، وحَقه من باطله.

وإذا تحقق الأمن الفكري فإنه يشكل منظومة متكاملة لمن في جميع المستويات النفسية والاجتماعية والاقتصادية... بل هو الأساس الذي تنطلق منه بقية المستويات لضمان الولاء للأمة، وإثبات الانتماء لها.

والمتأمل في دعوة محمد ﷺ يدرك أنها لم تأت إلى قومه بجنود مجندة، ولا بأسلحة فتاكة، ولا بسلطان غشيم، كما لم تستخدم المال والدرهم لتأليف قلوب الناس، واستمالتهم، ولكنها جاءت بالفكر الثاقب، والحجة البينة، والبرهان الساطع، والجدال بالتي هي أحسن.

ولعل انهزام الآراء التي تناصرها القوة المادية أمر محتوم، "لأن القوة المادية رعناء هوجاء، من شأنها الشطط والخروج عن الجادة، وكل رأي يعتمد على هذه القوة في تأييده تنعكس عليه الأمور ، لأن الناس يتظننون في قوة دلائله، إذ لو كان قويا بالبرهان، ما احتاج في النصرة إلى السلطان"[4]، وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام تؤيد هذا الرأي الذي نشير إليه وتدعمه.

إن صدأ الأذهان، وإزالة الجهالة من العقول، وتحرير النفوس من إسار التعصب، وأغلال الانحراف ليس له من علاج إلا الدواة والقلم، فبهما تقوم الحجة، وينهض الدليل، وتسطع أنوار الرُشد والاعتدال.

والدولة العباسية في أزهى عصورها لم تصد الأخطار الثقافية التي أحاطت بالثوابت والمقدسات عبر قوانين وتشريعات، فتلك مرحلة متقدمة عن هذا الإجراء، ولكنها تركت صناع الفكر في الأمة يصنعون المواجهة بفكر مستنير منفتح، يقرأ ثقافة الآخر بإيجابية، تشد النافع وتلغي الضار، وتقف في وجهه بكل صمود وإصرار... لذلك فالأمن الفكري لم يكن احتماء سلبيا من الثقافة الأجنبية، بل كان مقارعة ومصارعة ثقافة بثقافة، وصمودا حتى الانتصار.

وقد كان الاجتياح الثقافي في عصر الانفتاح هو استغلال للحرية –التي كانت استثناء في تاريخ المدنيات على تعاقب الأزمان– لتوجيه السهام إلى مصادر الانتماء الإسلامي، والنيل من هوية الأمة، وبالتالي من روحها وفكرها.

والأمم المفتوحة عندما لم يجد المفتونون فيها سبيلا إلى تحقيق النصر العسكري فإنهم نقلوا المعركة إلى ساحات الفكر والثقافة، وهذا يذكرنا بما قاله ملك فرنسا (لويس التاسع)، الذي قاد الحملة الصليبية التاسعة عام 1249م، لكنه وقع أسيرا، إلا أن فدية كبيرة جعلته يتحرر من الأسر شريطة ألا يعاود الكرة ويحمل السلاح.

ومما قاله إثر خروجه من سجنه في المنصورة: "لقد تكسرت الرماح والسيوف... فلنبدأ حرب الكلمة!!".

وإذا كان الفكر والثقافة هي الحاجات العليا للبشرية، فإن توفير الأمن لها هو حماية للهوية من ضعف الشعور بالانتماء، ونضال ضد كل من يحاول أن يستترف الطاقات الفكرية للأمة عبر خلق مناخ للانشطار الثقافي، والفصام الفكري... الذي من شأنه إضعاف إمكانية النهوض، واستئناف الرسالية، التي تتخلق -عادة- في رحم الفكر والثقافة.

2- السلطة العباسية والزنادقة إلى عصر المأمون:

تضاربت آراء المؤرخين الرواد والمحدثين حول "الزندقة" وكلا منهم أكّد على واجهة معينة من واجهاتها واعتبرها الدافع لهذه الحركة الفكرية ذات الأهداف السياسية والدينية والاجتماعية.

فالمسعودي يعرف الزنديق بأنه الشخص الذي ترك الأفستا -الكتاب المقدس في الزرداشتية- واتبع (الزند) وهي شروح وتفسيرات جديدة للأفستا، ويضيف المسعودي: "وفي أيام ماني هذا ظهر اسم الزندقة الذي إليه أضيف الزنادقة... الذين انحرفوا عن الظواهر من المتزّل إلى تأويلٍ هو بخلاف التنزيل، فلما جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس وقالوا: زنديق وعرّبوه، والثنوية هم الزنادقة"[5]. ويرى الطبري أن الزنادقة هم أتباع ماني[6].

أما الجاحظ فيربط بين الزندقة والشعوبية من حيث طبيعتهما وأهدافهما المعادية للتراث العربي والقيم الإسلامية حين يقول: "فإنما عامة من ارتاب بالإسلام إنما جاء هذا عن طريق الشعوبية[7]، فإذا أبعض شيئا أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال الحالات

تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام، إذ كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف"[8].

أما من المحدثين فنجد أن الدكتور طه حسين و الدكتور الدوري قد تبنيا آراء الجاحظ، فيشير الأول إلى أنها: "ضرب من السخط على العرب وعاداتهم وأخلاقهم ودينهم... وهي ضرب من الكلف بحياة الفرس وعاداتهم وحضارتهم وما ذاع فيها من عقيدة دينية"، ويقول الثاني: "إن الشعوبية كانت من الدوافع الرئيسية للزندقة... وهما تستمدان الوحي من نطاق حضاري خارج نطاق العروبة والإسلام، وأن آراءهما آراء وافدة ترى أصولها وولاءها خارج المجتمع العربي الإسلامي"[9].

والعباسيون بعد تأسيس خلافتهم كشفوا عن هويتهم معلنين أنهم سارون "على كتاب الله وسنة نبيه" وبدأوا تدريجيا يقطعون صلتهم بالتطرف بكل أشكاله حين شعروا بتهديد المتطرفين للعروبة وقيمها الإسلامية، وخطر هذا التطرف على المقومات الأساسية للخلافة العباسية ذاتها... وعندئذ ضربت الراوندية[10] في يوم الهاشمية المشهود، ثم تحركت السلطة لتضرب الشعوبية والخرمية والزندقة[11].

وكان الزنادقة من الموالي والفرس يرومون تفسيخ الدولة العربية الإسلامية وتصديع كيانها، وتدمير أخلاقها ومُثلها وقيمها... ونسف الإسلام وهو عمادها وقوامها.. ويتهيأ لهم أن يحيُوا تراثهم الثقافي والديني، ويعيدوا مجدهم السياسي على أنقاضها لبلوغ أهداف منها:

1- بعث الديانات الفارسية القديمة، والسعي إلى نشرها عن طريق ترجمتها إلى اللغة العربية وإشاعتها بين العرب... فعامتهم كانوا فرسا وقلائل منهم كانوا عربا مثل صالح بن عبد القدوس ومطيع بن إياس[12].

2- تشويه الدين الإسلامي بالطعن فيه، والدسِّ عليه، ومكّنهم من ذلك أنهم أجادوا العربية وتفقهوا بعض التفقه في الدين وأنهم كانوا يعلنون الإسلام ويبطنون الكفر.

3- إغراء الشباب في المجتمع العربي الإسلامي بالفجور والتعهر، وإدمان الخمر، وطلب اللهو واللذة، والاستهتار بالتغزل، واستباحة الحرمات، وانتهاك الأعراض، وقد قامت عصابات الزنادقة المُجّان بذلك كله[13].

4- الوصول إلى الخلافة الإسلامية إذ هي مركز قيادة المسلمين وسرُّ قوتهم، فعملوا على الإطاحة بها وإضعاف دورها، وذلك عن طريق التسلل إلى بلاط الخلفاء تحت ستار إظهار الإسلام والنصح للدولة، وهذا ما كان يريده أبو مسلم الخراساني زمن المنصور، وما حاوله البرامكة في عهد الرشيد. إلا أنه تنبه لهم وقضى عليهم في نكبتهم المشهورة.

ثم إنه لما ضعفت الخلافة العباسية في خلافة المقتدر ومن بعده، بدأ أمر الدولة يتشتت حتى استولى الزنادقة على بعض الأقطار الإسلامية، فظهر العبيديون في مصر وما حولها، وظهر القرامطة في البحرين واستولوا عليها، وسيطر بنو بويه على أمور الدولة في بغداد، فتحقق للزنادقة ما أرادوا[14].

لقد كانت القضية الرئيسية في الصراع الشعوبي العربي الإسلامي هو إنشاء مجتمع جديد يتطلب من وجهة نظر الشعوبيين إدخال النظم والمؤسسات الإدارية الساسانية، وتشجيع الآراء الأعجمية في الثقافة، بينما أكدت النظرة العربية الإسلامية على فاعلية التراث العربي الإسلامي وجدوى اللغة العربية وإمكانية استيعاب وتمثل الثقافة العربية الإسلامية للمنسجم والقابل للهضم من الإرث الأعجمي، وبمعنى آخر فإن استمرار العباسيين الأوائل الاعتماد على العرب رغم توسيع قاعدة اعتمادهم لتشمل العناصر غير العربية واستمرار اتجاههم نحو الثقافة والإرث العربي الإسلامي رغم تذوقهم للمنسجم والمتفق مع القيم الإسلامية من الإرث الأجنبي أدى إلى رد فعل عنيف وجهد منظم لتشويه التراث العربي الإسلامي من خلال قيمه ومثله، فالصراع كان بين حركتين متضادتين ويتناول في جوهره الوجهة الثقافية للمجتمع الإسلامي الجديد، لقد شملت المظاهر التي هاجمتها الشعوبية كل عناصر الثقافة في المجتمع من شعر ونثر وأمثال وحكم وتاريخ وأنساب وعقيدة دينية (الإسلام)[15].

ولما كانت ملامح الثقافة العربية الإسلامية قد رسمت خلال العصر العباسي الأول فتكونت المدارس الفقهية وتلتها المذاهب الفقهية، وأخذت الدراسات القرآنية الأساسية بالظهور، واتخذت دراسة الحديث والتاريخ أشكالها الأولى في مجموعات للحديث وفي مؤلفات للإخباريين وأصحاب المغازي، إضافة إلى مؤلفات اللغويين وجدنا أن ثقافات أخرى انحسرت

وحلت حركة منظمة للترجمة -حكومية وشعبية- كما أن مركز النشاط الثقافي تحول إلى بغداد وشارك فيه المسلمون وغير المسلمين. وسارت الترجمة في خطين رئيسيين:

الأول: رسمي يشجعه الخلفاء وينفقون عليه بسخاء، وهو في الطب والفلسفة و العلوم، ومصدرها الثقافة اليونانية بالدرجة الأولى.

الثاني: شعبي تبناه الكتاب في الدواوين وبعض الوزراء وشجعوه (إضافة إلى بعض أصحاب الديانات الفارسية القديمة) ويتناول مؤلفات دينية وأدبية وتاريخية في الغالب[16].

ولا شك أن الرفاه الاقتصادي والاستقرار السياسي وأثر الثقافات الأجنبية وتساهل السلطة العربية مع العقائد المختلفة أدى إلى اصطراع الأفكار والآراء، وظهور جماعات من الكتاب والشعراء والمفكرين المعجبين بالحضارة الساسانية ومُثلها، الداعين إلى اتخاذها مثالا يحتذى، وقيمها ومذاهبها شرائع تُتبع.

ولم تكن هذه الحلقات مشتتة بل كانت متماسكة، متحدة في الوسائل والغايات ويطلق عليهم (إخوان الصدق) الذين يعملون من خلال الكتابة والنشر على ترويج آرائهم والدعاية لها[17].

والواقع أن الحملة ضد الزندقة لم تكن منظمة في البداية، فلم يُعرف عن المنصور تشديده على الزنادقة، لقلة نشاطهم وتسترهم[18]، ومع ذلك قتل المنصور البقلي الذي أنكر وجود القيامة والبعث والحياة بعد الموت، وكان يقول: "الإنسان كالبقلة إذا مات لم يرجع".

والمهم أن نذكر أن المنصور أوصى ابنه وولي عهده المهدي بأن يتقرب إلى الفقهاء ويجعلهم عضده، ولا يفرق الجماعة ويحارب المنحرين والمنشقين.

وكان المهدي أول من بدأ بتحقيق الأمن الفكري في المجتمع بحملة منظمة ورسمية لمحاربة أهل البدع والزندقة سياسيا وفكريا... يذكر ابن الطقطقي :" أن المهدي كان شديدا على أهل الإلحاد والزندقة "[19].

ومن مظاهر المقاومة الرسمية للفكر المنحرف الذي يهدد المجتمع الإسلامي ما أنشأه المهدي من إدارتين تختصان بالزنادقة وفكرهم:

1- إدارة للبحث عن الزنادقة ومحاكمتهم، وتضم ديوانا يقوم على تعقبهم يسمى (ديوان الزنادقة) وعيّن له مديرا يقوم على شئون هذا الديوان كما تضمُّ سجنا خاصا بأهل الزندقة والإلحاد، فلا يسجن معهم غيرهم حتى لا يُفسدوا عقائد الناس وأخلاقهم.

2- وإدارة علمية تقوم على مناظرة الزنادقة، والردِّ عن طريق الجدال المشروع وتصنيف الكتب لإبطال شبهاتهم وإظهار ضلالتهم. ويعتبر الخليفة المهدي أول من أمر بتصنيف الكتب للردِّ على الزنادقة[20].

وقد نشطت حركة الترجمة المناهضة في فكرها لفكر الدولة زمن الخليفة المهدي، وأعلن أقطابها -من أمثال عبد الله بن المقفع وابن أبي العوجاء وأضرابهم- اعتقاداتهم في خلافته لما انتشر من كتب ماني[21] وابن ديصان[22] وما صنعه حماد عجرد، ويحيى بن زياد، ومطيع ابن إياس من تأييد المذاهب المانوية والديصانية والمرقيونية[23] فكثرت بذلك الزنادقة، وظهرت آراؤهم في الناس[24].

وقد ذكر ابن النديم أسماء جملة من رؤساء الزنادقة في ذلك العصر فقال: "ومن رؤسائهم الذين يُظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة: ابن طالوت، أبو شاكر، أبن أخي أبي شاكر، ابن الأعدى الحريزي..."[25].

ومن الشعراء في دولة بني العباس ذكر ابن النديم: "بشار بن برد، واسحاق بن خلف، ابن سيابة، سلم الخاسر، علي بن الخليل، علي بن ثابت..."[26].

ويقول ابن النديم بعد أن ذكر جملة من رؤساء الزنادقة الذين تقدم ذكرهم: ولهؤلاء كتبٌ مصنفة في نصرة الاثنين[27] ومذاهب أهلها، وقد نقضوا كتبا كثيرة صنفها المتكلمون في ذلك "[28].

وليس هذا فقط، بل إن هذه الحركة قد دخلت من أوسع أبوابها في قصر الخليفة المهدي نفسه. يذكر اليعقوبي في تاريخه: "أن صالح بن أبي عبيد كاتبه زنديق فأحضره، فلما صح عنده أقرّه واستتابه، فقال صالح: لا رغبة عما أنا عليه ولا حاجة في غيره، فأمر المهدي أبا عبيد أباه أن يقوم فيضرب عنقه[29]. وهذا يعني أن هذا الأمر قد بلغ بكاتب المهدي مبلغا، طلب فيه الموت، على أن يقول غير ما كان يعتقده[30].

وقد حاول الزنادقة ضمن مخططهم الفكري وضع كتاب يشبه القرآن الكريم في أسلوبه وبلاغته وطعنوا بالرسالة، فقد ذهب ابن الراوندي إلى أن معجزات الأنبياء ما هي إلا مخاريق ومن عمل السحرة، وتعرض إلى أن القرآن من حيث الأسلوب والمحتوى وتعرض الأفكار، وحاول عبد الكريم بن أبي العوجاء أن يضع كتابا يعرض فيه القرآن الكريم أيضا إلى وضعنه أحاديث كاذبة نسبها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم...[31].

وانتشرت الكتب والرسائل المانوية بسرعة وقرأها الكثير من مثقفي العصر، فقد كانت ذات ورق صقيل وحبر عميقٍ صافٍ، وغلاف مزركشٍ بديع وذوق في الإخراج والنشر.

وقد وجدنا أن الخليفة المهدي استدعى المفكرين في عصره "وأمر الجدليين ممن هم من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين... وأقاموا البراهين على المعاندين، وأزالوا شبهة الملحدين، فأوضحوا الحق للشاكّين "[32]. وهذا الجدل وتلك المناظرة لابد أنها قد شغلت أهل الفكر ودفعت كل فريق بترجمة ما يعضد فكره، ويستعين بالترجمة لإيصال صوته، ويؤكد غير باحث "أن الإلياذة والأوذيسة ملحمتي اليونان المعروفتين قد ترجمتا إلى العربية زمن الخليفة المهدي"[33].

ولما شعرت الخلافة العباسية بخطورة حركة الزندقة بمضامينها الدينية والسياسية والاجتماعية، وبضرورة ضبطها وتقييدها، دعا الخلفاء إلى حملة نشطة وقوية تدعمها الدولة لمجابهة الزندقة وخاصة في عهد الخليفة المهدي الذي جدّ في طلبهم و البحث عنهم في الآفاق[34]، وأنشأ لهم ديوان الزنادقة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لما انتشرت الدولة العباسية وكان في أنصارها من أهل المشرق والأعاجم طوائف من الذين نعتهم النبي ﷺ حيث قال: "الفتنة هاهنا "[35] ظهر حينئذ كثير من البدع، وعُربت أيضا إذ ذاك طائفة من كتب الأعاجم من المجوس الفرس والصابئين الروم، والمشركين الهند، وكان المهدي من خيار خلفاء بني العباس، وأحسنهم إيمانا وعدلا وجودا، فصار يتتبع المنافقين الزنادقة "[36].

وقد كتب الفقهاء والمحدثون رسائل عديدة لا نعرف إلا القليل منها لدحض آراء المانوية، وكتب الجاحظ كتابا في (فضائل القرآن ومعانيه

الجميلة) ردًا على محاولات الزنادقة التشكيكية، ولم يؤلف ابراهيم بن النظام رسائل ضد المانوية، ولكنه اشتهر بمناقشاته العنيفة معهم في المجالس، وكان لأبي هذيل العلاف وجعفر بن حرب مشادّات ومناقشات حامية مع (يزدان – بخت) من رؤساء الزنادقة[37].

ومن جملة من تصدى لحركة الزندقة في هذه الفترة أبو محمد هشام بن الحكم في كتابه (لرد على الزنادقة والرد على أصحاب الاثنين) وأبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي في كتابه (الرد على أصحاب التناسخ والخرمية)، وأبو محمد الحسن بن موسى النوبختي في كتابه (الرد على أصحاب التناسخ)، وأحمد بن محمد بن حنبل في كتابه (الرد على الزنادقة والجهمية)، وأبو الربيع محمد بن الليث الخطيب في كتاب (الرد على الزنادقة)، وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي في الرد على المانوية، والمسعودي في كتابه (الإبانة في اصحاب الديانة)، وأبو عثمان الرقي في رسالته (الرد على الملحدين وأصحاب الاثنين)[38].

ويظهر من وصية المهدي لابنه الهادي شدة المهدي وحرصه على تطهير الأرض من الزنادقة والملحدين، وتوفير الأمن الفكري للأمة، فيقول له: "يا بني، إن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة –يعني أصحاب ماني– فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن، كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجا وتحوبا، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين:

أحدهما النور والآخر الظلمة، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق، لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور"[39].

إلا أن هذه السياسة الحازمة في تأمين الوضع الفكري في المجتمع لم تخلُ من غلو وشطط وانحراف وادعاء، فنجد أن العباسيين بقدر ما حاولوا مواجهةً الفكر الدخيل والاعتقاد المنحرف بالحجة الدامغة والبرهان الساطع إلا أنهم خلطوا ذلك بدعاوى جعلتهم محل انتقاد وسخط، فهم يواجهون أحيانا فكر معارضيهم الغالي بفكر غال مثله. فالمنصور عارض فكرة "المهدي" و"القائم" العلوي بفكرة "المهدي" العباسي" و"المنصور

العباسي"، كما عارض ادعاء العلويين امتلاك العلم السري المتوارث عن النبي ﷺ بادعاء أن للعباسيين سرًّا موروثا خاصا بهم. وفي هذا الصدد كتب لابنه المهدي "أنظر هذا السِّفط[40] فاحتفظ به فإن فيه علم آبائك، ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة"[41]، وهو يذكرنا ب "الجَفْر" الذي يزعم أبو الخطاب وأنصاره أن جعفرا الصادق قد أودعهم إياه، وهو جلد أو وعاء من الجلد يقولون أنه يضم كتابات بها علم الغيب والتفسير الباطني للقرآن، وكل ما يتعلق بالمستقبل وذلك في شكل رموز!!، أضف إلى ذلك أن العباسيين عارضوا فكرة "الوصية" الشيعية، بأن ادعوا بأن الرسول ﷺ قد أوصى لعمه العباس بن عبد المطلب من بعده"[42].

واتبع الخليفة هارون الرشيد نفس سياسة من سبقوه من العباسيين... فقد ألقى القبض على أولاد مطيع ابن إياس، واعترفوا بقراءتهم كتب الزنادقة، و لم يخل عهد الرشيد من اتهام البعض بالزندقة لأسباب سياسية، واتهم البرامكة بالزندقة، يقول ابن النديم: "قيل إن البرامكة بأسرها إلا محمد بن خالد بن برمك، كانت زنادقة"[43]. وقال ابن كثير: "يقال إن البرامكة كانوا يريدون إبطال خلافة الرشيد وإظهار الزندقة"[44].

والثابت أن أكثر الزنادقة انتحلوا الرفض وادعوا حب آل البيت وفرضوا سيطرتهم الثقافية على قطاع واسع من الرعية، وبدأ "الفكر" يتحول إلى "قوة مادية" إلى تنظيم سري محكم، ورغم أن الخليفة المأمون كان مرنا اتجاه المذاهب والفرق، ومع أنه أعطى يزدان – بخت أحد رؤساء المانوية الأمان واستدعاه إلى البلاط ودعا الفقهاء لمناظرته، وطلب منه الدخول إلى الإسلام فرفض، فلم يجبره وأطلق سراحه، وضمِن حمايته... فقد تبين للمأمون أن مقاومة الزندقة بالسيف لم تعد ممكنة، بعد أن أصبح كل خصم يصف خصمه بالزندقة، فلجأ إلى "المناظرات العقلية "التي كان يسهر شخصيا على تنظيمها... وضع استراتيجية جديدة ذات مصراعين: الدفع بالحركة الشيعية إلى الكشف بنفسها عن تنظيماتها السرية من جهة، والتخطيط لمقاومة العقيدة الباطنية الشيعية من جهة أخرى، فأعلن عقد البيعة لعلي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وبالتالي تحويل الخلافة من العباسيين إلى العلويين، فلبس الخضرة

شعار العلويين ونزع السواد شعار العباسيين، وكان ذلك حيلة منه للدفع بالحركة الشيعية إلى الكشف عن تنظيماتها وقادتها، وفعلا قُتل علي الرضا وعاد المأمون إلى لبس السواد وأسند ولاية العهد لأخيه المعتصم!

وليس غريبا أن يلجأ المأمون للاحتفاظ بشرعية وتحقيق أهدافه وتأمين الفكر الذي يريده أن يسود وفق قناعاته وميوله وانتمائه إلى التحالف مع المعتزلة وتبني فلسفتهم، ولا سيما نظرية خلق القرآن. واستجاب لمطالبهم في قمع وسجن بل وإعدام من لم يؤمن بهذه النظرية... وكانت محنة عظيمة لأهل السنة وغيرهم من الفرق الأخرى، أسهم فيها المثقفون المعتزلة بدور استثنائي وبغض النظر عن الأسباب الحقيقية الدافعة إلى هذا الموقف المعتزلي، وخاصة الأسباب السياسية، لا الفكرية فقط، فقد كانت المرة الأولى التي يؤدي فيها المثقفون دورا مباشرا اجتماعيا، وسلطويا استثنائيا في الحضارة العربية[45].

بل إن المأمون ذهب بعيدا في تحالفه مع المعتزلة إلى درجة أن بعضهم وصل إلى درجة مستشار خاص له، ومكلفا بأمن الدولة، وهو رئيس أتباع الجهم بن صفوان، وهي أعظم المهمات حينئذ، ويشير هذا التكليف إلى التحالف الواسع والمتين بين المأمون والمثقفين المعتزلة... وفي توصيف هذه المرحلة يقول محمد عابد الجابري: "كان هناك من المثقفين المحسوبين على المعتزلة مثل الجاحظ، تلميذ النظام في الاعتزال من جعلوا من مضمون بعض كتابتهم الأدبية سلاحا خفيا لتأييد الدولة ومذهبها، دولة المأمون والمعتصم... لقد ألف الجاحظ رسائل لا يمكن تبرئتها من الانسياق مع إيديولوجيا الدولة وخدمتها، مثل رسالته في العثمانية التي يقلل فيها من فضل علي بن أبي طالب، وذلك بمقارنته – لا مع عثمان بن عفان – بل مع أبي بكر الصديق، ومثل رسالته في النابتة ويعني بهم (زعماء العامة)، الذين كانوا يشيدون بمعاوية، ويبرزون فضله، ويمتنعون عن ذكره بسوء، وقد تعرض الجاحظ لمحنة (خلق القرآن) فدافع عن القول به، وهاجم من يرفضه، وقلل من شأنه، الاضطهاد الذي تعرض له الممتنعون عن القول به"[46].

3- علماء الكلام وصناعة الأمن الفكري:

لقد أزالت الفتوحات الإسلامية القهر الروماني من الغرب، والقهر الفارسي من الشرق، و لم تقف تعاليم الإسلام التي بشر بها الفاتحون عند المواعظ والوصايا والصلوات في المحاريب، بل تحوّل الإسلام الفاتح بوَحْيَيْهِ من الكتاب والسنة إلى منظومة فكرية تبلورت منها فلسفة إسلامية لها أعلامها ومدارسها وإبداعاتها منذ النصف الثاني من القرن الهجري الأول في علم الكلام الإسلامي الذي كان يسمى "علم التوحيد".

ولما كانت أقاليم الدولة الإسلامية مترامية الأطراف متباعدة الأقطار فإنها ضمت في ديارها أجناسا مختلفة، وأرومات عديدة، وشعوبا وقبائل وقوميات ولغات ومذاهب وديانات وفلسفات ومِللا ونحلا مثّلت كل ألوان الطيف لعالم ذلك التاريخ... فإنه قد نتج عن ذلكَ دولة إسلامية ورعية تتدين وتتمذهب بمختلف الديانات والمذاهب وخاصة الحواضر ذات المواريث الفلسفية والمؤسسات الدينية، وشهدت أوسع نشاط في الحوار الفكري بين المسلمين وغير المسلمين من النصارى واليهود والمجوس (المانوية والثنوية والزرادشتية) ومع السمنية[47] الذين كانوا يمثلون دهرية ذلك التاريخ وأصحاب الوضعية الفلسفية فيه.

وفي خضم هذا الحوار الحر والواسع والعميق تبلورت العقلانية الإسلامية، لأن العقل والمنطق كانا السلاح الأول والأفعل في عرض الإسلام والدفاع عن عقائده، وفي الرد على مقالات المخالفين ومقولاتهم.

لقد انتقل الإسلام -بهذه الفتوحات- إلى بيئات ذات ثقافات وأبنية فكرية مركبة، وأصبح يواجه ويحاور أقواما لهم مواريث فلسفية ومؤسسات لاهوتية و لم يعد كما كان الحال في شبه الجزيرة العربية يتعامل مع بيئة بسيطة تكفي في الإجابة عن أسئلتها وعلامات استفهامها ظواهر النصوص، والمنطق الفطري، وبسبب هذه المتغيرات الفكرية الجذرية كان لابد لانتصار الإسلام من تبلور العقلانية القرآنية في فلسفة إسلامية، ردَّ فلاسفتها على المخالفين، واستخدموا العقل و العقلانية في نشر الإسلام.

ولكي ندرك "الضرورة" التي دفعت المسلمين إلى عدم الاكتفاء بالنصوص، وإلى بلورة العقلانية التي جاءت بها وحثت عليها هذه النصوص في صورة فلسفة تمثل السلاح المناسب للتعامل مع المذاهب والمقولات الفكرية والدينية السائدة في هذه البيئات الجديدة نضرب مثلين من الأمثلة التي حفظها التراث في هذا المقام:

1- لقد تحدّى زعيم "السمنية" ببلاد السند علماء الإسلام وطلب من ملك بلاده أن يرسل إلى هارون الرشيد (149-193هـ/766-809م) مُتحديا، أن يرسل أعلم علماء بغداد لمناظرة زعيم "السُمنية" واشترط أن يدخل المهزوم في دين المنتصر...!

فأرسل الرشيد كبير قضاة بغداد - وكان من أهل الحديث الذين يقفون عند ظواهر النصوص - فلما بدأت المناظرة بينه وبين زعيم "السمنية " سأله السُمني:

- أخبرني عن معبودك، هل هو قادر؟
- القاضي: نعم
- السُمني: فهل هو قادر على أن يخلق مثله؟

فتحيّر كبير قضاة بغداد، بماذا يجيب؟ لو قال: نعم يجوز لله أن يخلق مثله، لأقرّ بجواز تعدد الآلهة، ولو قال: لا يقدر، لأقرّ بعجز الإله!، فما كان منه كي يخرج من حيرته وحرجه إلا أن قال:

هذه المسألة من "الكلام" (علم الكلام) - والكلام بدعة، وأصحابنا ينكرونه.

- السمني: ومن أصحابك؟
- القاضي: محمد بن الحسن (131-189هـ/748-8004م)، وأبو يوسف (113-182هـ/731-798م)، وأبو حنيفة (80-150هـ/699-767م)، وعندئذ التفت السمني إلى مليكه وقال:

"قد كنت أعلمتك دينهم، وأخبرتك بجهلهم وتقليدهم، وغلبتهم بالسيف!"

وعاد كبير قضاة بغداد إلى الرشيد مهزوما، ومعه رسالة ملك السند للخليفة، يقول فيها: "إني كنت ابتدأتك وأنا على غير يقين مما حكى لي، والآن قد تيقنت ذلك بحضور هذا القاضي".

وثارت ثائرة الرشيد وضاق صدره، وقامت قيامته، وأخذ يصيح: "أليس لهذا الدين من مناظر عنه؟!".

وكانت الدولة العباسية -يومئذ- تضطهد المعتزلة -فرسان العقلانية الإسلامية- لميولهم العربية في الخلافة مع العلويين [48]، ولرفضهم سيطرة الشعوبية الفارسية على جهاز الدولة العباسية، فأشار نفرٌ من حاشية الرشيد عليه بأن علماء الكلام -المعتزلة- هم القادرون على مناظرة السمني وإقحامه، ولو أنهم خرجوا من سجونهم، وكلفهم الخليفة بذلك، لاستطاعوا الدفاع والانتصار للإسلام".

فأحضر الرشيد نفرا من المعتزلة، وعرض عليهم "مسألة السمني" فأجابه شاب منهم هو "معمر بن عباد" (215هـ/830م) بأن سؤال السمني هذا محال، فسافر إلى بلاد السند، ودارت المناظرة على هذا النحو:

- السمني: هل معبودك قادر؟

- معمر: نعم - السمني: هل يقدر أن يخلق مثله؟

- معمر: إن هذا السؤال محال: لأن المخلوق لا يكون إلا محدثا، و المحدث لا يكون مثل القديم، فقد استحال أن يقال يقدر أن يخلق مثله؟ أو لا يقدر؟، كما استحال أن يقال: يقدر أن يكون جاهلا أو عاجزا؟[49].

وهنا -وبالفلسفة، وبالمنطق العقلاني وليس بظواهر النصوص- حقق المعتزلة الأمن الفكري من غوائل الفكر الدخيل الذي يلبِسُ على الأمة دينها، ويضرب عقيدتها في الصميم.

- أما المثال الثاني الذي يبرز دور الفلسفة الإسلامية المتسلحة بأدوات العصر في مواجهة المقولات الدهرية الموروثة من الأمم القديمة وديانتها ومذاهبها المندثرة... ما يرويه أبو القاسم البلخي (319هـ/931م) في كتابه (مقالات الإسلاميين) عندما يحكي كيف كان حوار الجهم بن صفوان (128هـ/745م) مع علماء "السُمنية" الوضعيين،

القائلين بـــ: "حسية المعرفة "أي أن الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة والإدراك. يقول البلخي:

"ذكر أبو الحسن بن فرزويه أن قوما من السُمنية أتوا جهم بن صفوان فقالوا: هل يخرج المعروف[أي المعرفة]عن المشاعر الخمسة؟

- فقال: لا.

- قالوا: فحدثنا عن معبودك الذي تعبده، أشيء وجدته في هذه المشاعر [أي الحواس]؟

- قال: لا.

- قالوا: فإذا كان المعروف لا يخرج عن ذلك، وليس معبودك منها، فقد دخل في المجهول!

- فسكت جهم "!!

ولقد كتب الجهم بن صفوان عقب عجزه هذا وهزيمته أمام علماء السمنية بوقائع هذه المناظرة إلى زعيم المعتزلة "واصل بن عطاء" (80-131هـــ/699-748م) فكتب إليه واصل:

"إن المعروف لا يخرج عن المشاعر الخمسة وعن الدليل، فارجع إليهم الآن، وقل لهم: هل تفرقون بين الحي والميت؟ وبين العاقل والمجنون؟ فإنهم يعترفون بذلك، وإنه يعرف بالدليل لا بغيره...

هنا في هذا الجزء من النص يقدم واصل بن عطاء الإضافة الفلسفية "الدليل العقلي" الذي هو مستوى أرفع من المشاعر الحسية في سبل المعرفة والإدراك... فالعقل ليس مادة حتى يدرَك بالحواس والمشاعر... وكذلك الجنون، وكذلك الموت والحياة... فبدون الدليل العقلي لا يمكن مناظرة أصحاب المقولات الفلسفية المخالفين للإسلام[50].

وبعد أن ذهب الجهم بن صفوان -مرة ثانية- إلى علماء السمنية، وقدم لهم الجواب الجديد -الذي أعلمه به واصل بن عطاء- قالوا له: "ليس هذا من كلامك! فمن أين لك؟

- قال: كتب إليّ به رجل من العلماء بالبصرة يقال له: واصل.

فخرج السمنية إلى واصل بن عطاء -بالبصرة- وكلموه فأجابوه إلى الإسلام[51].

وقد تحدث المستشرق "جب" (Gibb) (1856-1901م) عن فرسان العقلانية الإسلامية الذين قارعوا خصوم العقيدة، ومنهم "الثنوية" الفارسية فقال عنهم: "إنهم استطاعوا أن يقارعوا الثنوية حجة بحجة، وأن يفحموهم، وأن ينشئوا الفلسفة الأخلاقية المستمدة من القرآن"[52].

ومما سهل للمعتزلة هذه المهمة في حراسة العقائد الإيمانية بالأدلة والبراهين العقلية هو وقوفهم على ما في كتب الفلسفة الإغريقية و الكتب المسيحية الهيلينية، فوجدت فيها المسائل الجدلية لمجابهة أبحاث الثنوية والتغلب عليها، واتخذت العقل أساسا في مناقشاتها، ولذلك سماهم نيكلسون "العقليين"، واستطاعت المعتزلة ان تلائم بين الثقافة الإسلامية الواضحة والثقافة الهيلينية المعقدة، وترد على الغلاة والزنادقة حتى أمسى النضال بعد تأثير هذه الحركات وغيرها من الحركات المعادية للإسلام من هموم المعتزلة ومشاغلها الرئيسية[53].

وما كانت الأصول الخمسة التي تضافروا على تأييدها، وتآزروا على نصرها إلا وليدة المناقشات الحادة التي تقوم بينهم وبين مخالفيهم، والتوحيد الذي اعتقدوه على الشكل الذي أسلفنا كان للرد على المشبهة والمجسمة، والعدل كان للرد على الجهمية، والوعد والوعيد كان للردّ على المرجئة، والمنزلة بين المنزلتين ردوا بها على الخوارج الذين كفروا مرتكب الذنب صغيرا أو كبيرا... ولم يكن لهم عمل إلا الفكر، وقرع الحجة بالحجة و الدليل بالدليل، ووزن الأمور بمقاييسها الصحيحة، لا يتعرضون للسياسة إلا بالقدر المحدود، وحجتهم فيما يرون بيان لا سنان، وسلاحهم دليل قوي لا سيف مشهور[54].

وقد اتخذ المعتزلة منهجا خاصا بهم في جدال مخالفيهم حول العقائد وإثباتها، والبرهنة عليها وعرضها، وهو منهج جرّد عليهم سيوف النقد، وأشاع حولهم قالة السوء!

ومن هنا جاء وقوف المدرسة الاعتزالية مؤسسًا لفلسفة دينية وعقلانية مؤمنة، تستمد من الوحي مضامينها، وتستعمل آليات الفكر المضاد في خوض معاركها الفكرية معه، مما جعلها تؤمِّن للمجتمع أصوله الثابتة، ومصادره المقدسة، وتضربت على العقائد الإيمانية سياجا منيعا من الأدلة

والحجج والبراهين... منعت بها الفكر المنحرف من التسلل إلى فكر الأمة، مستغلا أجواء الحرية التي منحتها الدولة للمخالفين من أصحاب الفرق والمذاهب و الأديان...

ولا شك أن جهود المعتزلة في إرساء أسس علم الكلام الإسلامي، وتمهيدهم لظهور الفلسفة الإسلامية، ودفاعهم عن الإسلام ضد خصومه أمر لا خلاف عليه بين الباحثين، على الرغم من بعض الشطط الذي طبع بعض أقوال متكلميهم، والغلو في العقل من بعض منتسبيهم، فليست أقوال متكلمي المعتزلة على درجة واحدة من الحجاج والبرهان والاستنباط، والقول بالعقل استنادا إلى الوحي، أو القول به هوًى وتكلفًا. وحسبنا أن نشير إلى عدة حقائق في هذا الصدد:

1- يعزى الفضل إلى المعتزلة في اعتبار العقل مصدر المعرفة، ومن ثمّ حاربوا الخرافات والسحر والشعوذة وغيرها من الظواهر التي لا تخضع لمنطق العقل كرؤية الجن، وانشقاق القمر... الخ، ولم يتورعوا عن نقد الروايات الأسطورية في هذا الصدد حتى ما كان منسوبا منها إلى كبار الصحابة، وفي ذلك ما ينم عن وضع المعتزلة الأول أصول المنهج العلمي في التفكير.

2- من مظاهر التفكير العلمي عند المعتزلة تعويلهم على الشك والتجربة وتفسير الظواهر على أساس مبدأ السببية، فربطوا بين الأسباب والمسببات سواء في ظواهر الكون أو المادة أو المجتمع أو الإنسان...

3- فكر المعتزلة في جوهره فكر إيجابي في بناء يعلي من منزلة الفرد ويحطم القيود التي تحدُّ من حريته في الرأي والعمل، ويفتح أمام العقل آفاقا للتفكير والإبداع، وذلك بإقرار مبدأ "الاختيار" على عكس الفكر "الجبري" المثبط الذي يجعل الفرد ريشة في مهب الريح خانعا مستسلما للقضاء والقدر...

4- يلاحَظ وجود تلازم وثيق بين الفكر العقلاني الإعتزالي وبين موقفهم الاجتماعي من قضية العدالة، فكان رواد التنوير دُعاة للمساواة في الوقت نفسه.

5- إذا كان المعتزلة قد أثروا الفكر الإسلامي بتأصيل العقلاني فإنهم خدموا العقيدة الإسلامية ودافعوا عنها ضد خصوم الإسلام... ذلك أن أعداء الإسلام من أصحاب الديانات السابقة راموا له كيدا في شكل حركات مستترة، أو دعوات سافرة شاعت في العصر العباسي. فيما عرف "بالزندقة"، ولم يكن بوسع الفقهاء وأهل الحديث الدفاع عن الإسلام بالمأثور من النصوص، أمام خصوم يستخدمون الحجة والمنطق، فتصدى المعتزلة لمنازلتهم بسلاحهم نفسه، ومساجلاتهم ورسائلهم في الرد على الدهرية والثنوية والسمنية والديصانية واليهودية والنصرانية[55].

ومن الإنصاف في حق فرسان "العقلانية الإسلامية" أن نقول أنهم استنفروا العقل استجابة لحاجات العقيدة الإسلامية في مواجهة التحديات الدينية والفلسفية وهو إنجاز فلسفي سبق ترجمة الفلسفة اليونانية إلى العربية بأكثر من قرن من الزمان... فإن ترجمة المسلمين لما ترجموا من فلسفة اليونان لم يكن القصد منها جعل هذه الفلسفة اليونانية فلسفة للمسلمين، ولا إحلالها محل علم التوحيد الإسلامي، وإنما كانت هذه المترجمات الفلسفية "سلاحا عقلانيا - يونانيا" استعان به المسلمون في مواجهة الغنوصية الباطنية "التي امتزجت فيها مواريث فارسية إشراقية، ببقايا إسرائيلية، بالأفلاطونية والأفلوطينية"[56].

ولئن أُخذ على المعتزلة غلوهم في تعظيم العقل وتقديمه فقد استطاعوا أن يحلقوا في آفاق الحرية خارج حدود العقلية الحرفية الضيقة والمهيمنة على العقل المسلم، ومارسوا طروحاتهم من خلال إعمال العقل داخل الدائرة النصية ما لم يحتمله جمهور الفقهاء، حيث كانت تلك الثورة الفكرية خارج كل توقعاتهم، مع الوضع في الاعتبار أن المعتزلة مارسوا التفلسف داخل دائرة النص الإسلامي ومن منطلقاته الأولية، ونصوص الوحي الثابتة فيه.

4 – التسلط البويهي... العلماء في مواجهة السلطة

البويهيون سلالة ديلمية نشأت في إقليم الديلم على السواحل الجنوبية لبحر قزوين، وقد استطاع الأئمة الزيدية من العلويين من أمثال يحيى بن عبد الله الحسني أن ينجحوا في تثبيت أقدامهم في هذا الإقليم

والأقاليم المجاورة له مثل طبرستان وجيلان... ويرجعون في نسبهم إلى ملوك الساسانية (حسب ادعائهم). وقد استمدوا اسمهم من أبو شجاع بويه، والذي لمع اسمه أثناء عهد الدولتين السامانية ثم الزيارية وقد عرف أهل هذه الأقاليم الإسلام على المذهب الزيدي الشيعي على أيدي أئمة هذا المذهب ومنهم الحسن بن زيد الذي أقام دولة في طبرستان، والحسن بن علي الملقب بالأطروش سنة 301هـ.

استطاع ثلاثة من أبناء بني بويه الاستيلاء على السلطة في العراق وفارس ودخلوا بغداد في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة 334هـ من دون مقاومة تذكر، ورأى الخليفة المستكفي أنه من الخير له أن يرحب بالأمير أبي الحسين أحمد بن بويه ومنحه وإخوته الألقاب التي عُرفوا بها، وخلع عليهم الخليفة العباسي ألقاب السلطنة.وفي ذلك اليوم ابتدأ العصر البويهي الذي استمر حتى سنة 447هـ.

أسس البويهيون إمارة وراثية في قلب الخلافة العباسية في بغداد، ويسندهم في ذلك جيش أجنبي معظمه من الديلم والترك، وبذلك أصبحت الخلافة العباسية مؤسسة شكلية من الناحية السياسية، واستبد بنو بويه بالسلطة في ظل خليفة عباسي مجرد من كل سلطة أو نفوذ، وتتضح من قول البيروني سلطة الخليفة العباسي المحدودة حين يقول: "إن الدولة والملك قد انتقل في آخر أيام المتقي وأول أيام المستكفي من آل العباس إلى آل بويه، والذي بقي في أيدي الدولة العباسية إنما هو أمر ديني اعتقادي لا ملك دنيوي "[57].

وقد كان بإمكان البويهيين أن يزيلوا الخلافة العباسية ويقضوا عليها، ويعلنوها سلطة بويهية خالصة ولكن موانع كثيرة منعتهم من ذلك، نذكر منها:

1- أن البويهيين شيعة زيدية، ويعتقد الزيدية أن الإمامة من مصالح الدين يُحتاج إليها لإقامة الحدود... ولا يشترط أن يكون الإمام أفضل الأمة علما وأقدمهم عهدا وأسداهم رأيا وحكمة... إذ الحاجة تنسد بقيام المفضول مع وجود الفاضل والأفضل.

2- أن الخليفة أصبح رمزا يمثل سلطة دينية وروحية لا صلة له بالحياة السياسية الدنيوية، فقد قبل البويهيون الإبقاء على الخليفة العباسي بشرط ألا يحاول إعادة سلطته الدنيوية التي فقدها.

3- إن غالبية سكان بغداد كانوا من أهل السنة وأن نصف جيش معز الدولة البويهي كان من الأتراك السُنة، ولا يمكن إلغاء الخلافة السُنية بسهولة وبصورة مفاجئة [58].

ولكن ما لبث بنو بويه أن قلبوا ظهر المجن للخلفاء العباسيين وأصبحوا أكثر قسوة من سابقيهم ولا حقيهم ممن سيطروا على الخلفاء وصاروا يتدخلون حتى في تعيين كاتب الخليفة، واستأثروا بالأموال دونه، وسيطروا على مصاريف وواردات بيت المال، وأصبح للخليفة إما راتب سنوي خاص به، أو ضياع وإقطاعات يستوفي خراجها تسمى (ضياع الخليفة) كانت تقل أو تكثر حسب رغبة الأمير البويهي ومدى حاجته إلى تأييد الخليفة المعنوي، وقد جعل معز الدولة للخليفة المستكفي خمسة آلاف درهم في اليوم[59]، ثم خفض ذلك عند تعيين الخليفة المطيع إلى ألفي درهم يوميا [60]. ولم يقتنع البويهيون بأخذ السلطة بل شاركوا الخلافة في امتيازاتها الأخيرة في شاراتها، وأصبح اسمهم يذكر في الخطبة مع اسم الخليفة على المنابر... وأمروا أن تقرع الطبول أمام دورهم في أوقات الصلاة، واتخذوا من الألقاب ما يدل مشاركتهم للخلفاء في نفوذهم مثل "صفي أمير المؤمنين" و"قسيم أمير المؤمنين"[61]. وصارت السكة بأيديهم، وذكرت فيها أسماؤهم وألقابهم، ولم يبق للخليفة إلا نفوذه الديني فأخذ يتمسك به ويؤكده[62].

وقد وصف ابن الأثير ذللك الوضع بقوله عن العصر البويهي: "وازداد أمر الخلافة إدبارا، ولم يبق لهم من الأمر شيء البتة، وقد كانوا يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل، والحرمة قائمة بعض الشيء، فلما كان أيام معز الدولة، زال ذلك جميعه،"[63].

لقد اتبع أمراء البويهيين سياسة طائفية مقيتة لدوافع سياسية واضحة، فقد ساندوا طائفة ضد أخرى، فوقعت فتم واضطرابات وحرائق سببت

أضرارا مادية وبشرية، كما أحيوا العديد من المراسيم التي سببت التصادم والمشاحنات بين الطوائف الدينية[64].

والحق يقال أن الثقافة ازدهرت في أيامهم، وكانوا بحاجة إلى من يقنع الناس بشرعية حكمهم... وكان التنافس شديدا بين الأمراء (الحكام) في مختلف البلدان الإسلامية على كسب وُدِّ العلماء و المفكرين والمثقفين بتجميع أكبر عدد منهم حول الحاكم، حتى أنهم أخذوا دور بغداد الثقافي، وقد لخّص بطرس البستاني ذلك بوصفه لهذا العصر بقوله: "إن هذا العصر يمتاز بأمرين مختلفين: أولهما: سواء الحالة في ممالك الإسلام، واضطراب الأمن في جميع الأمصار، وانتشار الدعوات والفتن و الحروب، وثانيهما: حسن الحالة الفكرية وقيام المدارس والمكاتب وازدهار العلوم والآداب، كما أن الأمراء المستقلين لم يقتصر تنابذهم وتحاسدهم على أن يقاتل بعضهم بعضا، ويكيد بعضهم لبعض، بل تعدى ذلك إلى التنافس والتباهي بتقريب الشعراء والعلماء، ومالوا إلى التساهل فلم يتحرجوا من حرية القول والتفكير، فاتسع مجال الارتزاق على أهل العلم، وتفرقوا في الممالك المستقلة، وأصبح لهم جملة حواضر ترفه لهم العيش، وتضمن لهم الشهرة، بعد أن كان الرزق والشهرة محصورين في بغداد، فانبسطت أحوالهم، وفرغوا إلى النظم والتأليف، فنهضوا بالفكر الإسلامي نهضة عظيمة، وتم بذلك على أيديهم نضج العلوم والآداب"[65].

ولكن السياسة المذهبية التي اتبعها البويهيون ساهمت في إشعال الفتنة، وتأجيج الأحقاد، وتبادل الانتقام... ومثال ذلك ما حدث في بغداد من الفوضى والتقاتل و الحرائق بين طوائف السنة و الشيعة.

ففي سنة 422هـ تخرب في الجانب الغربي من بغداد سوق العروس وسوق الصفارين وسوق الدقاقين... وهي، ثم امتدت الفتنة إلى أسواق أصحاب المهن والحرفيين: كسوق الخراطين، ومدبغة الجلود، وسوق القلائين[66]. ولم يعد بإمكان البويهيين إخماد نار العامة التي أشعلوها، فيُبين المؤرخون مثلا أن العوام بدل أن يسيروا إلى الغزو سنة 361هـ، اقترفوا في العاصمة نفسها أنواع الفضائع من قتل ونهب وتدمير وانتهاك

حرمات، وعجز السلطان عن إصلاحهم وإطفاء ما أثار من ثائرهم، حتى صار ذلك سببا لخراب بغداد[67].

وبما أن البويهيين شيعة زيدية فقد سمحت لهم الفرصة المناسبة من أجل إسناد ومعاضدة الحركات الباطنية، والتي من بينها الإسماعيلية الذين ينتسبون إلى إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق، ويدّعون أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللُبِّ من القشر.

ومما لا شك فيه أن الحركات الباطنية وعلى رأسها الإسماعيلية بفروعها المتعددة، مثل: المباركية، والخطابية، والنصيرية، والقرامطة... وغيرها من الفرق كانت تمثل مصدرا كبيرا من مصادر الفكر المنحرف و الغالي الذي اجتاح بلاد العالم الإسلامي يومئذ.

كما أن البويهيين تستروا أيام حكمهم على أخطر حركة فكرية باطنية عرفت بجماعة (إخوان الصفا) وذلك في منتصف القرن الرابع الهجري. وهي جماعة تتكون من طبقات متفاوتة وفق أسس ذكروها في رسائلهم التي تفيض بنظرية الفيض التي تتفق مع نظرية الفيض عند أفلوطين. كما وتتفق مع آراء الإسماعيلية في نظرهم إلى الكتب السماوية، فهم يرون أن لهذه الكتب ظاهر يمثله اللفظ المقروء المسموع، وباطن هو عبارة عن تأويلات خفية[68].

وقد تركت آراء (إخوان الصفا) آثارها في فرق وحركات باطنية وإسماعيلية كثيرة، من مثل الحشاشين والدروز[69].

وقد حظيت آراء وأفكار الفلاسفة خلال العصر البويهي بالتشجيع والمعاضدة، ورصدت لأصحابها المخصصات المالية والحظوة عند الأمراء إلى درجة أنهم قد أفردوا لهم حجرة يجتمعون فيها بالقرب من مجلس الأمير، يتفاوضون فيها آمنين من السفهاء ورعاع العامة كما يعتقدون، وأقيمت لهم رسوم وعطايا تصل إليهم، فعاشت علومهم وكانت مواتًا[70].

كما دارت في مجلس عضد الدولة مناقشات مستفيضة حول الفرق بين النحو العربي والنحو اليوناني وأصل استنباطهما[71]، إلى غير ذلك من المحاولات المحمومة للنيل من اللغة العربية وتفضيل غيرها عليها.

ولم يكتف البويهيون بتقريب الشيعة الغلاة فحسب بل إنهم قربوا عددا من النصارى المشتغلين بالفلسفة والمنطق، مثل: أبي زكرياء يحيى بن عدي المنطقي التكريتي (ت 363هـ/974م) وكان يعقوبي النحلة، وهو من أهل المنطق والفلسفة الذين يعملون في الترجمة، ومن المحدثين الذين تعمدوا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعوا الأحاديث لإرضاء بني بويه أبو الفتح الأزدي الموصلي (ت 367هـ/978م)[72].

على أن أشهر مضللي العصر ومؤلفي كتب الشيعة الإمامية أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالصدوق (ت 381هـ/991م) وكان أبوه شيخ الشيعة في قم، وقد قدم أبو جعفر من خراسان إلى بغداد سنة (355هـ/966م)، واستعان به الأمير ركن الدولة البويهي، وبتعاليمه في الإمامة على تدبير السياسة، ويعد كتابه (من لا يحضر الفقيه) أحد الكتب الأساسية عند الشيعة. ومن كتبه أيضا (اعتقادات الإمامية)، وكتاب (صفات الشيعة)، بالإضافة إلى مناظرة بينه وبين ركن الدولة البويهي في من هو الخليفة بعد علي رضي الله عنه[73].

ولم تكن هذه النهضة العلمية منسجمة كلها مع الثقافة العليا للأمة ومرجعيتها الثابتة، فقد حملت معها بذور الانحراف، وشوائب الفكر الدخيل، مما جعل خلفاء بني العباس -على ضعف سلطانهم- يسخرون العلماء و الفقهاء لمواجهة ذلك كله بالتصانيف والتآليف التي تحقق الأمن الفكري للمجتمع، وتقيه من غوائل الفكر المشبع بالطائفية والزندقة والمروق.

لقد استغل الشيعة الغلاة أجواء الحرية في عصر البويهيين وكتبوا سنة (351هـ/962م) على أبواب المساجد في بغداد " لعن معاوية، ولعن من غصب فاطمة حقها في فدك (ويقصدون أبا بكر)، ومن منع الحسين أن يدفن مع جده، ولعن من نفى أبا ذر الغفاري إلى الربذة (ويقصدون عثمان".

وقرّب معز الدولة الشيعة على حساب السنة، ولعن الخلفاء الثلاثة علنًا، وعمل يوم غدير خم عيدا رسميا، ويقول ابن الأثير: "في عاشر المحرم، أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم، ويبطلوا الأسواق والبيع

والشراء، وأن يظهروا النياحة، ويلبسوا (قبابا عملوها) بالمسوح، وأن يخرج النساء منشرات الشعور، مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهن، يدرن في البلد بالنوائح، ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي -رضي الله عنهما، ففعل الناس ذلك، ولم يكن للسنة قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة؛ ولأن السلطان معهم"[74].

وبلغ من تطرف معز الدولة أنه أمر بإطلاق جماعة يدينون بالحلول والتناسخ أوهموه أنهم شيعة!، ولم يجرؤ وزيره المهلبي على تشدده في أمرهم "فينسب إلى ترك التشيع، فسكت عنهم"[75].

ولم يتوان أمراء بني بويه من تشجيع كثير من فقهاء التشيع والروافض في نشر العقائد المنحرفة بين العامة من الناس ومن أولئك على سبيل المثال أبو القاسم علي أحمد العلوي الكوفي (352هـ/963م) وهو من الغلاة وله كتاب "الاستغاثة في بدع الثلاثة" ويقصد بالثلاثة الخلفاء أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم. ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت 413هـ/1022م) الذي ذكره الخطيب البغدادي بقوله: "شيخ الرافضة و المتعلم على مذاهبهم، صنف كتبا كثيرة في ضلالاتهم والذب عن اعتقاداتهم ومقالاتهم والطعن على السلف الماضين من الصحابة والتابعين وعامة الفقهاء المجتهدين، وكان أحد أئمة الضلال هلك به خلق من الناس إلى أن أراح الله المسلمين منه[76].

وقد أنشأ البويهيون خلال مدة حكمهم العديد من مراكز التشيع واعتنوا عناية كبيرة بتلك التي كانت موجودة وقائمة قبل وصولهم، ووجدت هذه المراكز في كل من كرخ بغداد والكوفة والنجف وكربلاء و الكاظمية والبصرة والحلة[77]، وقد لعبت تلك المراكز أدوارا مهمة في تجميع الشيعة وتوحيد صفوفهم ودفعهم إلى نشر أفكارهم ومعتقداتهم.

وكان لزاما على علماء السنة التصدي لهذا الغلو الجارف، الذي يقع في قلب دار الإسلام، فنظموا الدروس والحلقات والمجالس في القرآن والحديث والفقه وأصوله في بيوت العلماء ودور العلم والمكتبات ردًّا على الفكر المنحرف الذي يهدد الكيان الإسلامي كله ويعمل على تفكيكه وإهلاكه. ذكر الخطيب البغدادي: "أن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن

عبدويه بن موسى بن بيان أبو بكر البزاز المعروف بالشافعي (ت 354هـ) لما منعت الديلم ببغداد الناس أن يذكروا فضائل الصحابة، وكتبت سب السلف على المساجد، كان الشافعي يتعمد في ذلك الوقت إملاء الفضائل في جامع المدينة، وفي مسجده بباب الشام، ويفعل ذلك حسبة، ويعده قربة"[78].

ويذكر أن الخليفة القادر كان من أهل الستر، والديانة، وإدامة التهجد بالليل، وكثرة البر والصدقات على صفة اشتهرت عنه، وعرف بها عند كل أحد مع حسن المذهب وصحة الاعتقاد وكان صنف كتابا في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على مذهب أصحاب الحديث، وكان الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي ويحضر الناس سماعه[79]. وكتب كتابا قرأه على الأشراف والقضاة والشهود والفقهاء "يتضمن الوعظ وتفضيل مذهب السنة والطعن على المعتزلة وإيراد الأخبار الكثيرة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة"[80].

وممن تصدى لهذا الانحراف أيضا: أبو القاسم إبراهيم بن جعفر المعروف بابن الساجي الحنبلي (ت 399هـ) فقد ألف مصنفا كبيرا يدل عنوانه على مدى مساهمته في التصدي للانحراف الشائع في عصر بني بويه وهو كتاب "البيان على من خالف القرآن وما جاء فيه من صفات الرحمن وما قامت عليه أدلة البرهان "[81]. كما ألف علي بن سعيد، الإصطخري وهو أحد شيوخ المعتزلة للخليفة القادر باللّه كتابا في الرد على الباطنية، فأجرى له القادر جراية سَنية، فلما توفي نقل جرايته إلى ابنته[82].

كما ألف الفقيه أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت 403هـ) الملقب بسيف السنة ولسان الأمة ورأس المتكلمين كتبا منها: كتاب "التبصرة، ودقائق الحقائق، والتمهيد في أصول الفقه، وشرح الإبانة، وكتاب في الرد على الباطنية الذي سماه "كشف الأسرار وهتك الأستار" قال عنه ابن تيمية: "هو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده، وكان على مذهب السلف الصالح"[83].

بل كان للشعراء دور في المواجهة وتوفير الأمن الفكري للأمة السُنية، فهذا الشاعر أبو الحسن علي بن عيسى بن سليمان المعروف بالسكري (ت 413هـ) وكان من أصحاب الباقلاني يحفظ القرآن، والقراءات، وكان متفننا في الآداب، وأكثر شعره في مدح الصحابة والرد على الرافضة والنقض على شعرائهم [84].

و لم يكتف علماء أهل السنة و الجماعة بالتأليف ردًّا على مفاسد الفكر الشيعي المنحرف وإنما نظموا حركة فكرية واسعة تمثلت في عقد مجالس للوعظ والإرشاد والمناظرات العامة في المساجد ودور العلم وبيوت العلماء، ومن بينها المناظرات التي عقدت بين الفقيه الشافعي أبو حامد الإسفراييني (ت 406هـ/1015م) والفقيه الحنفي أبو الحسن القدوري (ت 428هـ/1036م)، وكذلك المناظرة التي عقدت في دار الخليفة القادر بالله، بين أبي بكر الباقلاني المالكي (ت 403هـ/1012م) وأبو حامد الإسفراييني الشافعي في وجوب الصيام ليلة الغمام، كما عقدت مناظرة في مسألة وجوب المتعة للمطلقة المفوضة قبل الدخول، واشترك فيها الفقيه الشافعي أبو بكر محمد بن جعفر المعروف بابن الدقاق (ت 393هـ/1001م) والفقيه المالكي أبو الحسن عمر بن محمد بن أحمد القاضي [85].

أما مجالس الوعظ فنذكر من بينها: مجلس الواعظ أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف المعروف بابن العلاف (ت 442هـ /1050م)، وكان له مجلس وعظ بجامع المهدي إضافة إلى حلقة التدريس الخاصة به في جامع المنصور [86].

ولاشك أن الاختلاف بين أبناء البيت البويهي من جهة، وانتهاجهم سبيل المغالبة لخط الأمة، وإذلال خلفاء بني العباس، واستفزاز مشاعر الجماهير الغفيرة من أهل السنة و الجماعة في أقاليم الدولة العباسية من جهة أخرى، مع تجاهلهم حماية دار الإسلام ودفع الخطر البيزنطي المحدق بها من جهة الغرب، وعدم حمل عبء الدفاع عن الجبهة الشرقية، وترك أعبائها للسامانيين والغزنويين... أدى إلى سخط أغلب المسلمين عليهم، وعدم التعاطف معهم.

وقد عجّلت هذه الأسباب وغيرها بالسماح للسلطان محمود الغزنوي بالتدخل في شؤون الدولة البويهية، ويستولي على الري وهمذان واصفهان، وحدا بأحد قوادهم –وهو البساسيري– أن ينقضَّ على الخلافة العباسية، ويرفع الخليفة القائم بأمر الله ويدعو في بغداد للخليفة الفاطمي المستنصر بالله. مما شجّع السلاجقة التركمان أن يزحفوا من بلاد ما وراء النهر ليدخلوا بغداد بقيادة زعيمهم طغرلبك، ويعيد الخليفة القائم بأمر الله إلى دار خلافته، وذلك سنة 447هـ.

وبهذا تنتهي الدولة البويهية، وتغرب شمسها، ويأفل نجمها، بعد أن حكمت أكثر من 113سنة، تسلطت فيها على الخلافة العباسية، ولم تستطع أن تتخلص من تعصبها القومي والمذهبي... وقد أثبت البويهيون أنهم ليسوا أهلا لتحمل أمانات التاريخ، وقد تعبت الأمة من جراء سياستهم وتعصبهم، وإرفاد الفكر المناوئ لفكر الأمة، مما جعل رأس الأمة ينفصل عن جسدها، والتاريخ يعلمنا دائما أنه بانفصال رأس الأمة عن جسدها تتعطل طاقات الحياة فيها.

5- في العصر السلجوقي استنساخ الانحراف واستراتيجية المواجهة:

السلاجقة من القبائل التركية التي تسكن بلاد ما وراء النهر، وينتسبون إلى جدهم سلجوق بن تقاق، الذي أنجب ميكائيل ومن أبنائه: يبغو أرسلان، وطغرلبك محمد، وجغري بك دواد الذين ظهروا على مسرح الأحداث، وكان لهم دور كبير في إقامة دولة السلاجقة.

وفي سنة 389هـ انهار النفوذ السامانى واقتسم أملاك السامانيين كل من الخانيين والغزنويين، وانفسح المجال للسلاجقة لتوطيد دولتهم في بلاد ما وراء النهر[87]. ثم استطاع السلاجقة أن يزحفوا إلى خراسان ويلحقوا الهزيمة بالغزنويين في معركة داندانقان سنة 431هـ/1035م، ولما كان البيت البويهي في هذه الفترة يترنح بعد ما انتابه الضعف بسبب الصراعات بين أبنائه واستيلاء السلاجقة على ممتلكاتهم في إيران، وتمرد القادة الأتراك الذين يعملون في جيوشهم بقيادة أبي الحارث البساسيري، استنجد الخليفة العباسي القائم بأمر الله بالسلطان السلجوقي طغرلبك، فانتهز السلطان الفرصة، وسار بجيوشه إلى بغداد، ودخلها عام

447هـ/1055م. واعترف الخليفة به سلطانا على جميع المناطق التي تحت يده ، وأمر أن يذكر اسمه على الخطبة.

استطاع طغرلبك أن يقضي على خصوم دولته الناشئة من أخيه إبراهيم ينال في همذان ، إلى البساسيري الذي استولى على بغداد في فترة غياب طغرلبك عنها وأقام الخطبة للمستنصر الفاطمي فهزمه هزيمة ساحقة عند الكوفة وحمل رأسه إلى بغداد وأعاد الخليفة إلى مقعده ، فنال مكافأته بزيادة لقب جديد إلى قائمة ألقابه العديدة وهو "ركن الدولة"، وكانت معاملة السلاجقة للخلفاء العباسيين حسنة بسبب ما كانوا يدينون به من المذهب السني مذهب العباسيين.

ونتيجة للمذهبية والركود اللذين ضربا الفكر الإسلامي السُني ومؤسساته ، ونتيجة للمظالم الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تمارسها السلطان القائمة ، ازدهرت الحركة الباطنية وعلى رأسها الفرقة الإسماعيلية التي أنشأها الحسن بن الصباح الذي تمكن عام 463هـ/1090م، من الاستيلاء على (قلعة ألموت) في بلاد فارس وجعلها عاصمته ومركز أعماله والتي استنسخت الانحراف من فكر الحركات الهدامة في العصر العباسي الأول، ولجأت إلى أساليبها وشعاراتها، كالشعوبية والباطنية والتشيع المتطرف، والفلسفة الأفلاطونية، وإحياء اللغة الفارسية.

وفي النصف الثاني من القرن الخامس الهجري أفرزت هذه الحركة جناحا عسكريا إرهابيا ضمّ الأحداث والبسطاء -باسم الدين ونصرة آل البيت- ويستعينون في التأثير عليهم بالحشيش الذي يقدمونه لهم، فإذا أصابهم الدوار أمروهم بما يريدون، ولذلك سموا بالحشاشين.

ولقد وضعت الباطنية للعبادات والعقائد الإسلامية قاموسا لغويا يناسب التأويلات التي ابتدعوها، من ذلك قولهم: إن كل ورد من الظواهر والتكاليف والحشر والنشر والأمور الإلهية هي أمثلة ورموز إلى بواطن، فمعنى الجنابة: إفشاء السر، والغسل: تجديد العهد على من أفشى السر، والكعبة: النبي، والباب: علي، والتلبية إجابة الداعي ، والطواف بالبيت سبعا: هو الطواف بمحمد إلى تمام السبعة، والنار: الجهل بعلوم الباطنية، والطهور: التبري من كل مذهب يخالف مذهب إمام الباطنية، وكذلك

زعموا أن المحرمات عبارة عن ذوي الشر من الرجال وقد تعبدنا باجتنابهم كما أن العبادات عبارة عن الاخيار الأبرار الذين أمرنا باتباعهم[88].

وقد استهوت مبادئهم -كما يقول أبو الحامد الغزالي- "الطبقات العاملة وأهل الصناعات والحرف "وهم -في المجتمعات التي أقاموها- قد تدرجوا في الوصول إلى نظام "الاشتراك" في الثروات والأموال.

وينسب إليهم إباحة الاشتراك في النساء، كما هو الحال في الأموال، ومن الشعر المنسوب إليهم، والذي ينم عن نزعة إلحادية ونظرة مادية، قول أحد شعرائهم:

تلوم على ترك الصلاة حليلتي	فقلت: اغربي عن ناظري، أنت طالق
فو الله لا صليت لله مُفلسا	يصلي له الشيخ الجليل وفائق
لماذا أصلي؟ أين بغيي ومترلي؟	وأين خيولي والحلى والمناطق؟!
أصلي ولا فتر من الأرض يحتوي	عليه يميني؟ إنني لمنافق!
بلى. إن عليّ وسّع لم أزل	أصلي له ما لاح في الجو بارق![1]

ولقد انتشر دعاة الباطنية في غرب العالم الإسلامي وشرقه، وأخذوا يدعون إلى إسقاط الحكومات السنية وعلى رأسها الخلافة العباسية، واستطاعوا من خلال ذلك أن يفسدوا عقائد الأمة، وأن يثيروا الفتن والقلاقل، ومضوا يغتالون الشخصيات المعارضة لهم، فقتلوا مئات القادة من الوزراء والعلماء و السلاطين ونشروا الرعب في كل مكان[89].

وقد رأى الوزير نظام الملك أن الاقتصار على مقاومة الفكر الغالي المنحرف الذي يروج له الغلاة من الشيعة سياسيا لن يكتب له النجاح إلا إذا وازى هذه المقاومة السياسية مع مواجهة فكرية، تعمل وفق استراتيجية محكمة، توازن بين الثوابت المستمدة من الثقافة العليا للأمة، وبين المستجد من ثقافة العصر ونوازل الواقع، وإعداد جيل جديد يستوعب الاختلاف المحمود، ويقف سدا منيعا ضد الفكر المنحرف الذي يستهدف العقائد الثابتة والشرائع المقررة.

وقد كانت تهدف المدارس النظامية في العصر السلجوقي إلى:

1- نشر الفكر السني ليواجه تحديات الفكر الباطني، ويعمل على تقليص نفوذه.

2- إيجاد طائفة من المعلمين السنيين المؤهلين لتدريس المذهب السني. ونشره في الأقاليم المختلفة.

3- خلق طائفة من الموظفين السنيين ليشاركوا في تسيير مؤسسات الدولة، وإدارة دواوينها، وبخاصة في مجال القضاء والإدارة[90].

وقد أسهمت هذا المدارس في توفير الأمن الفكري بفضل ما تهيأ لها من امتداد زمني، وإمكانات مادية ، وطاقات فكرية... ووجدنا كثيرا من الذين تخرجوا فيها يرحلون إلى أقاليم أخرى ليقوموا بتدريس الفقه الشافعي والحديث الشريف، وينشروا عقيدة أهل السنة في الأمصار التي انتقلوا إليها أو يتولوا مجالس القضاء والفتيا، أو يتولوا بعض الوظائف الإدارية الهامة في دواوين الدولة، وينقل السبكي عن أبي إسحاق الشيرازي -أول مدرس بنظامية بغداد- قوله: "خرجت إلى خراسان فما بلغت بلدة ولا قرية إلا وكان قاضيها أو مفتيها أو خطيبها تلميذي أو من أصحابي"[91].

واستطاعت هذه المدارس أن تعيد دور منهج السنة في حياة الأمة بقوة، وكان من أبرز آثارها أيضاً تقلص نفوذ الفكر الشيعي خاصة بعد أن خرجت المؤلفات المناهضة له من هذه المدارس، وكان الإمام أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) على قمة المفكرين الذين شنوا حرباً شعواء على الشيعة وخاصة الباطنية الإسماعيلية فقد ألف كتباً عدة، أشهرها فضائح الباطنية الذي كلف بتأليفه عام 487هـ من قبل الخليفة المستظهر[92].

ولم يكن كتاب "فضائح الباطنية" هو كتاب الغزالي الوحيد الذي هاجم فيه عقائد الباطنية وإنما كان الكتاب الأول، في الوقت الذي كان الإسماعيليون يضللون غيرهم فيفضلون كأكثر ما يكون الإشارة إلى أنفسهم بأصحاب "الدعوة الهادية" أو "الدعوة الجديدة"، ويشتق التعبير الأخير معناه من محاذاته جنبا إلى جنب مع تعبير "الدعوة القديمة" حيث الإشارة هنا إلى الدعوة الإسماعيلية الفاطمية المتمركزة في القاهرة، فالدعوة الجديدة أصبحت حركة اسماعيلية نزارية مستقلة عن الفاطميين، وجرى

تنظيمها بشكل منفرد تقريبا في ظل قيادة حسن الصباح (ت 518هـ/1124م)[93].

وإذا كانت المدارس النظامية قد أثمرت وحققت الكثير من أهدافها فإن الغزالي كان أنضج ثمراتها، إذ استطاع بفكره القوي، وبما نال من شهرة أن يكون ذا تأثير قوي في مقاومة الباطنية، وأن يطبع الفكر السني بطابعه[94].

ويمكن أن نذكر أن الخلافة العباسية والسلطة السلجوقية والإمام الغزالي كانوا يميّزون في نظرهم بين الباطنية وبين الإمامية الإثنا عشرية، فكان التعامل مع الإمامية بكل تقدير واحترام، وتمنع التحدث عن العلويين بما لا يليق[95].

ولم تكن رسائل الغزالي وانتقاداته للباطنية موجهة للنخبة والعلماء والفقهاء فحسب، بل إن الوعي بخطر الباطنية امتد إلى العوام، واستطاعت ردود الغزالي أن تشكل رأيا عاما عريضا يواجه الفكر الغالي، ويستشعر خطره، مما جعل العامة تعبر عن سخطها بطرقها الخاصة، منها: ما كانوا يطلقونه من أوصاف على الباطنية كقولهم: "إباحيو المذهب، ومنكرو الدين، والضالين ، وأعداء الإسلام والمسلمين، والملحدون.

وفي السياق الذي خطه الغزالي لنفسه في إطار صناعة الأمن الفكري في المجتمع فإنه واجه الفلاسفة أيضا ممن فتنوا بالفكر الوافد ورددوا مقولاته دون بحث أو محاكمة أو تمحيص... وكان ظهيرا قويا للباطنية يمدونهم بالجانب التنظيري لمذهبهم، وأثبت أن كثيرا منهم كان يتستر بالثقافة ويتظاهر بقضايا العقيدة، وينفذ إلى المعلوم من الدين فينقضه، وإلى ثوابت العقيدة فينسفها، وإلى أحكام الشرع فيستخف بها... فقال: "فإني قد رأيت طائفة يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأتراب والنظراء بمزيد الفطنة والذكاء، وقد رفضوا وظائف الإسلام في العبادات، واستحقروا شعائر الدين: من وظائف الصلوات، والتوقي عن المحظورات، واستهانوا بتعبدات الشرع وحدوده، ولم يقفوا عند توقيفاته وقيوده، بل خلعوا بالكلية رتبة الدين بفنون الظنون: يتبعون فيها رهطا يصدون عن سبيل الله ويبغونها

عوجا وهم بالآخرة كافرون، ولا مستند لكفرهم غير تقليد سماعي إلفي كتقليد اليهود والنصارى "[96].

وقد ترتب على جهود الغزالي انحسار التيارات الفكرية المنحرفة، فركدت سوقها بين الناس، وآل أمرها إلى السقوط والبوار.

ولم يكن جهد الغزالي متوجها نحو الباطنية المنحرفة فحسب بل تفطن لخطر من داخل الدائرة السنية، أسهم في إفساد عقيدة وأخلاق المجتمع، بالرغم من أنه يتزيا بلبوس الدين، ويُظهر الصلاح والتزهد والتجرد، وهو التصوف المنحرف الذي وصف الغزالي أحواله في عصره بقوله: "إن متصوفة هذه الأعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الأفكار ودقائق الأعمال ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين ، قد ألفوا البطالة واستثقلوا العمل، واستوعروا طريق الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية، واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد، واستسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم، واستخفوا عقولهم وأديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمعة وانتشار الصيت واقتناص الأموال بطريق السؤال، تعللاً بكثرة الأتباع، فلم يكن لهم في الخانقاهات حكم نافذ ولا تأديب للمريد نافع، ولا حجر عليهم قاهر، فلبسوا المرقعات واتخذوا في الخانقاهات متنزهات، ربما تلقفوا ألفاظاً مزخرفة من أهل الطامات فينظرون الى أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بأنفسهم خيراً ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ويعتقدون أن كل سوداء تمرة ويتوهمون أن المشاركة في الظاهر توجب المساهمة في الحقائق وهيهات فما أغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بغضاء الله[97].

ولا شك أن الغزالي استطاع أن يوفر الأمن الفكري في ميدان التصوف الذي اشتبه على الكثيرين من أهل عصره، فنبّه إلى أن طريق السالكين إلى الله لابد لأهله من ضرورة العلم الشرعي خلافا لما كان سائدا بين كثير من الصوفية: "إن العلم حجاب" وقد جعل أول كتاب من كتب "الإحياء" الأربعين كتاب "العلم". كما نقل التصوق من مجرد الذوق

والتحليق والشطح والتهويل إلى علم أخلاقي عملي يعالج أمراض القلوب وآفات النفوس ويزكيها بمكارم الأخلاق[98].

وفي الختام يمكن أن نقول: إن المعارك الفكرية ليست بأقل خطراً في حياة الأمة من المعارك العسكرية، ذلك أن الغزو الفكري أسوأ وأشد خطراً على الأمة من الغزو العسكري. ولقد انتصر الغزالي في معركته مع الفلسفة دفاعاً عن الإسلام، وتوفيرا للأمن الفكري لأمته. واستحق بجدارة أن يلقب بحجة الإسلام، وانفرد بهذا اللقب الذي بيَّن مكانة الرجل في تاريخ الفكر الإسلامي، بل الإنساني كله.

وعندما تتظافر جهود العلماء والحكام في تحقيق الأمن الفكري في المجتمع فإن التطرف يأخذ دور الشاذ لا القاعدة والنشاز لا الأصل، وعندما توضع الخطط الثابتة وفق استراتيجيات محددة، تنحسر الخسائر وتقل التكاليف، وتُحقن الدماء، لأن التقاتل والتناحر ينشأ عادة عندما يغيب الفكر، وتتوارى الحجة، وتقعد النفوس عن الارتقاء إلى الحوار النافع، والجدال بالتي هي أحسن.

– الهوامش:

---

(1)– محمد محمد نصير. **الأمن والتنمية** . الرياض: شركة العبيكان ، **1431**هـ، ص **12**.

(2)– أنظر: نذير بن نبيل الشرايري. **الأمن الفكري في ضوء القرآن الكريم**. ط**1**، الرياض: مركز الدراسات و البحوث بكلية فهد الأمنية، **2013**م ، ص **25** –**26**.

(3)– صالح محمد المالك. **دور الأمن الفكري في الحماية من الغزو الفكري**. صحيفة الجزيرة، السعودية، الرياض، **1425**هـ، العدد **11781**، الخميس **18**، ذو القعدة.

http://www.al-jazirah.com

(4)– محمد أبو زهرة. **أبو حنيفة، حياته وعصره وآراؤه الفقهية**. القاهرة: دار الفكر العربي، ص **171**.

(5)– المسعودي. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. ج**2**/ص **168**.

(6)– الطبري. **تاريخ الرسل والملوك**. ط**2**، بيروت: دار التراث، **1387**هـ، ج**2**/ص **53**

(7)– الشعوبية: حركة فكرية اجتماعية، قامت بها جماعات غير عربية، بهدف ضرب الكيان

العربي من خلال ثقافته وإرثه الحضاري، والتشكيك بدور العرب التاريخي، والاستهزاء بالقيم والمُثل العربية، مقابل الاعتزاز بالإرث الحضاري الأعجمي، والتمجيد بالقيم والسجايا غير العربية، وإحياء الثقافات الأعجمية. أنظر: فاروق عمر فوزي. **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**. ط2، بيروت: دار اقرأ، 1985م، ص227.

(8)- الجاحظ . **البيان و التبيين** . ج3/ص 14.

(9)- فاروق عمر فوزي. **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**. مرجع سابق، ص200.

(10)- الراوندية: وهي حركة قوم من أهل خراسان، سُموا بذلك نسبة إلى قرية رواند القريبة من أصفهان، وكانوا من أتباع أبي مسلم الخراساني، إلا أنهم زعموا أن ربهم الذي يرزقهم ويطعمهم ويسقيهم هو المنصور، وأعلنوا إيمانهم بفكرة تناسخ الأرواح واستطاعوا دخول مدينة الهاشمية، عاصمة الخلافة العباسية آنذاك، وهاجموا قصر الخلافة فتصدَّى لهم بعض الجنود البواسل، وعلى رأسهم معن بن زائدة الشيباني، واستطاعوا القضاء على هذه الحركة. انظر :

Sadighi,G.H.Les Mouvements Religieux Iraniens au 2eme et au 3 eme siècle de Lhegire . Paris ;Les Presses modernes,1938.

(11)- فاروق عمر فوزي. **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**. مرجع سابق، ص194.

(12)- أنظر: حسين عطوان . **الزندقة و الشعوبية في العصر العباسي الأول**. بيروت: دار الجيل (د، ت)، ص27-28.

13-Vol.1.P107 .Bukhsh.s.khuda. Contrubutions To The History of Islamic Civilisation. .calcutta n.pb

(14)- سعد بن فلاح بن عبد العزيز العريفي. **الزنادقة. عقائدهم وفرقهم وموقف أئمة المسلمين منهم** . ط1، الرياض : دار التوحيد للنشر، 2013م، ص 150.

(15)- فاروق عمر فوزي. **الهاشميون الأوائل – دراسة تاريخية –**. ط1، عمان: دار مجدلاوي، 2009م، ص214.

(16)- عبد العزيز الدوري. **أوراق في التاريخ والحضارة**، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2007م، ص53-54.

(17)- فاروق عمر فوزي. **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**. مرجع سابق،

ص203.

(18)- عبد العزيز الدوري. **العصر العباسي الأول**. ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م، ص 123.

(19)- ابن الطقطقي . **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**. تحقيق: عبد القادر محمد مايو، ط1، بيروت: دار القلم العربي، 1997م، ص181.

(20)- علي بن أحمد مشاعل. **الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول مشكلاتها وأساليب مواجهتها**. ط1، الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، 1414هـ، ج2/ص 603.

(21)- ماني: وإليه تنسب المانوية التي هي من العقائد الفارسية القديمة التي تقوم على اعتقاد أن العالم مركب من أصلين قديمين أحدهما النور والآخر الظلمة.

(22)- ابن ديصان: وإليه تنسب الديصانية، وهم أيضا ثنوية يثبتون أصلين هما: النور والظلمة فالنور: يفعل الخير قصدا واختيارا. والظلام: يفعل الشر طبعا واضطرارا.

(23)- المرقيون: هو الذي تنسب إليه فرقة المرقيونية، وهم قبل الديصانية يقولون بالأصلين القديمين، وقد عدّهم الشهرستاني من فرق الثنوية. أنظر: الشهرستاني. **الملل والنحل**. ج1/ص298.

(24)- المسعودي. **مروج الذهب**. ج4/ص315.

(25)- ابن النديم. **الفهرست**. ص411.

(26)- ابن النديم. **الفهرست**. ص411.

(27)- وهو مذهب الثنوية الذين يقولون بأزلية النور والظلمة كالمانوية والمزدكية. أنظر: ابن حزم، **الفصل في الملل والنحل**. القاهرة: مكتبة الخانجي، (د، ت)، ج1/8ص290.

(28)- ابن النديم. **الفهرست**. ص411.

(29)- اليعقوبي. **التاريخ**. ج3/ص138.

(30)- صالح مهدي هاشم. **الفكر الفلسفي في بغداد. دراسة في الأصول والأتباع**. ط1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2005م، ص255.

(31)- فاروق عمر فوزي. **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**. مرجع سابق، ص204.

(32)- المسعودي. **مروج الذهب**. ج4/ص315.

(33)- عبد المنعم ماجد. **تاريخ الحضارة الإسلامية**. القاهرة: 1977م، ص189. صالح

مهدي هاشم. **الفكر الفلسفي في بغداد**. مرجع سابق، ص255-256.

(34)- الطبري. **تاريخ**. ج8/165.

(35)- أخرجه البخاري في كتاب الفتن. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الفتنة من قبل المشرق ج9/ص 96، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب الفتنة من المشرق حيث يطلع قرن الشيطان. ج4/ص1765.

(36)- ابن تيمية. **مجموع الفتاوى**. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1995م، ج4/ص 20.

(37)- فاروق عمر فوزي. **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**. مرجع سابق، ص205.

(38)- المرجع نفسه. ص205-206.

(39)- الطبري. **تاريخ**. ج8/ص220.

(40)- السفط: وعاء تجمع فيه المرأة أدوات زينتها...

(41)- الطبري. **تاريخ**. ج8/ص103.

(42)- محمد عابد الجابري. **تكوين العقل العربي**. ط9، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م، ص227.

(43)- ابن النديم. **الفهرست**. تحقيق: إبراهيم رمضان، ط2، بيروت: دار المعرفة، 1997م، ص411.

(44)- ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج10/ص 204.

(45)- حسين العودات. **المثقف العربي والحاكم**. ط1، بيروت: دار الساقي، 2012م، ص116.

(46)- محمد عابد الجابري. **المثقفون في الحضارة العربية**. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت: 2000، ص 114.

(47)- السمنية: فرقة من فرق الديانات الوضعية بالهند، عرفها المسلمون عندما وصل الإسلام إلى شبه القارة الهندية، وهم ينكرون النبوات والرسالات، ويزعمون أن الأنبياء هم الذين فرقوا البشرية إلى فرق متناحرة، وفي المعارف وطرق اكتسابها هم ماديون دهريون، ينكرون أن تكون للمعارف وسائل غير الحواس الخمس، ولقد قادهم ذلك إلى إنكار وجود إله لا تدركه

الحواس... أنظر: محمد عمارة. **الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية**. القاهرة: نهضة مصر، 2000م، ص24.

(48)- عن هذا الموضوع أنظر: عبد الرحمن سالم. **التاريخ السياسي للمعتزلة**. ط1، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2013م، ص222.

(49)- البلخي والقاضي عبد الجبار والحاكم الجشمي (**فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة**) ص252-255، تحقيق فؤاد سيد، تونس 1972م، نقلا عن: محمد عمارة . **مقام العقل في الإسلام**. ط1، القاهرة: دار نهضة مصر، 2008م، ص20-23.

(50)- محمد عمارة. **مقام العقل في الإسلام**. مرجع سابق، ص 24.

(51)- **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة** .ص 226.

(52)- هاملتون جب. **دراسات في حضارة الإسلام**. بيروت: 1964م، ص16.

53 - p224 .Literary History of the Arabs . Reynold Alleyne Nicholson

نقلا عن: عبد سلوم السامرائي. **الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية**. بغداد: المؤسسة العراقية للدعاية والطباعة، ص 173-174.

(54)- محمد أبو زهرة. **أبو حنيفة حياته وعصره وآراؤه الفقهية**. مرجع سابق، ص167.

(55)- أنظر: محمود إسماعيل. **الحركات السرية في الإسلام**. ط6، دار رؤية للنشر والتوزيع، 2006م، ص 126.

(56)- الأفلاطونية نسبة إلى الفيلسوف اليوناني أفلاطون (427-347 ق.م)، ولقد أسهمت نظريته في عالم المثل في تكوين الفلسفة الإشراقية، أما الأفلوطينية فنسبة إلى أفلوطين (204-270م) الذي كان إسهامه في الفكر الغنوصي والباطني.

(57)- البيروني. **الآثار الباقية عن القرون الخالية**. ص 132.

(58)- أنظر: فاروق عمر فوزي. **تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الإسلامية**، ط1، بغداد: الدار العربية للطباعة، 1988م، ص296-198. وانظر: محمود والشريف. **العالم الإسلامي في العصر العباسي**. مرجع سابق، ص515-522.

(59)- عز الدين ابن الأثير . **الكامل في التاريخ**. تحقيق: عمر عبد السلام تدمر، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1997م. ج7/ص148.

(60)- ابن مسكويه. **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**. ط2، تحقيق: أبو القاسم إمامي، طهران: سروش ، 2000م ، ج2/ص 87.

(61)- أنظر: حسن الباشا. **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار**. القاهرة: 1957م، ص202-204.

(62)- أنظر: عبد العزيز الدوري. **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**. مرجع سابق، ص184-187.

(63)- ابن الأثير. **الكامل**، ج7/ص160.

(64)- عبد العزيز الدوري. **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**. مرجع سابق، ص186.

(65)- بطرس البستاني. **أدباء العرب في الأعصر العباسية**. مكتبة صادر، 1934، ص319، نقلا عن حسين العودات. **المثقف العربي والحاكم**. ط1، بيروت: دار الساقي، 2012م، ص128-129.

(66)- ابن الجوزي. **المنتظم في أخبار الأمم**. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992م، ج8/ص55.

(67)- ابن مسكويه. **تجارب الأمم**. ج/ص.306، ابن الأثير. **الكامل**. ج8/ص204.

(68)- رشاد عباس معتوق. **الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي**، قسم الدراسات العليا الحضارية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1990م، ص135. (رسالة دكتوراه).

(69)- محمد عمارة. **الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية**. مرجع سابق، ص100-101.

(70)- ابن مسكويه. **تجارب الأمم** . ج2/ص408.

(71)- آدم ميتز. **الحضارة الإسلامية**. مرجع سابق، ج1/ص435.

(72)- الخطيب البغدادي. **تاريخ بغداد**. تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2002م، ج2/ص243-244، رشاد معتوق. **الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي**. مرجع سابق، ص138.

(73)- رشاد معتوق. **الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي**. مرجع سابق، ص139.

(74)- ابن الأثير. **الكامل**. ج7/ ص245.

(75)- ابن الأثير. **الكامل**. ج7/ ص197.

(76)- الخطيب البغدادي. **تاريخ بغداد**. ج 3/ص231.

(77)- معتوق. **الحياة العلمية في العراق في العصر البويهي**. مرجع سابق، ص111-113.

(78)- الخطيب البغدادي. **تاريخ بغداد**. تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2002م، ج3/ص483.

(79)- ابن الجوزي. **المنتظم**. ج14/ص354.

(80)- ابن الجوزي. **المنتظم**. ج15/ص197.

(81)- القاضي أبو يعلى. **طبقات الحنابلة**. تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة، ج2/ص140.

(82)- ابن الجوزي. **المنتظم**. ج15/ص100. ابن الأثير. **الكامل**. ج7/ص594.

(83)- أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي. **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية**. ط1، القاهرة: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، مراكش: النبلاء للكتاب، ج6/ص35.

(84)- ابن الجوزي. **المنتظم**. ج15/156.

(85)- رشاد معتوق. **الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي**. مرجع سابق، ص180.

(86)- ابن الجوزي. **المنتظم**. ج15/ص328.

(87)- عبد المنعم حسنين. **سلاجقة إيران و العراق**. القاهرة: 1959م، ص21.

(88)- أبو حامد الغزالي. **فضائح الباطنية**. تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الكويت: مؤسسة دار الكتب الثقافية. ص56.

(89)- ماجد عرسان الكيلاني. **هكذا ظهر جيل صلاح الدين**، وهكذا عادت القدس. ط2، دبي: دار القلم للنشر والتوزيع، 2009م، ص69-71.

(90)- عبد المجيد أبو الفتوح بدوي. **التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد**. ط1، جدة: عالم المعرفة،

1983م، ص216.

(91)- تاج الدين السبكي. **طبقات الشافعية الكبرى**. تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ، ج4/ص216.

(92)- عبد المجيد أبو الفتوح بدوي. **التاريخ السياسي والفكري**. مرجع سابق، ص234.

(93)- فاروق ميثا. **الغزالي والإسماعيليون. العقل و السلطة في إسلام العصر الوسيط**. ط1، بيروت: دار الساقي، 2005م، ص40-41.

(94)- عبد المجيد أبو الفتوح بدوي. **التاريخ السياسي والفكري**. مرجع سابق. ص240.

(95)- ثامر نعمان مصطاف. **الرأي العام في العراق في عصر السيطرة السلجوقية**. ط1، دمشق: دار تموز، 2012م، ص215.

(96)- أبو حامد الغزالي. **تهافت الفلاسفة**. تحقيق: سليمان دنيا، القاهرة: دار المعارف، 1972م، ص73.

(97)- أبو حامد الغزالي. **إحياء علوم الدين**. بيروت: دار المعرفة، ج2/ص250.

(98)- أنظر: علي محمد الصلابي. **الإمام الغزالي وجهوده في حركة الإصلاح والتجديد**. مرجع سابق ، ص60-62.